

ظاهرة الوقوف على الأطلال

ظاهرة تغلغت بين ثنايا العصر الجاهلي و أصبحت محط أنظاره هي ظاهرة الوقوف على الأطلال ويمكن أن يتلخص تعريف هذه الظاهرة بأن الوقوف على الأطلال هو زيارة المكان الذي ما زالت به منازل الحبيبة أو القبيلة وتذكر الماضي

وبعض المسرين يرون أن الوقوف على الأطلال أو بالأطلال هو طقس ديني جاهلي وهذا سر ثباته في مقدمة القصيدة الجاهلية فالوقوف على الأطلال في الشعر الجاهلي هو بمثابة المقدمة الموسيقية للسيمفونية في الموسيقى ويعد امرؤ القيس أول من استخدم شعر الوقوف على الأطلال غير أننا لا نستطيع الجزم بذلك مؤكدين أو نافرين لأن امرئ القيس قال

عوجا على الطلل المحبل لعلنا نبكي الديار كما بكى ابن خدام

. فهنا يبين امرئ القيس أن ابن خدام وقف على الأطلال وربما هناك شعراء آخرون وقفوا قبله

والوقوف على الأطلال ليس بالضرورة الوقوف على أطلال المكان بل الزمان أيضا وهذا ما نراه في قول غازي القصيبي في : (مطلع قصيدته) (يومان

رسمت اللحم موطننا

رسمت الصحو منفانا

لظاهرة الوقوف على الأطلال أسباب عدة أهمها :الحنين الذي يشعر به الإنسان في دار الحبيب بعد أن خلت هذه الدار من الحبيب فروية منازل الأحبة خالية تشعر الشاعر بالحنين والشوق وكان لانعكاسات البيئة الصحراوية على الناس قيامهم بالترحال بحثا عن الماء والكأ وكان يسمى الناس الذين يتجمعون في موضع اللقاء بالخليط وهنا يبدأ شعر الوقوف على الأطلال عند ابن الغدير في الخليط

إن الخليط أجد و البين فابتكروا لينة ثم ما عادوا ولا انتظروا

: وقال جرير

إن الخليط ولو طوعت ما بانا وقطعوا من حبال الوصل أقرانا

: وقال بن حري

إن الخليط أجد و البين فابتكروا وأهتاج شوقك أحداج لها زمر

وهناك أسباب أخرى للوقوف على الأطلال مثل البعد عن المحبوبة والاشتياق لها في دار الغربية أو موت المحبوبة وهنا يدمج الشاعر في قصيدته مشاعر الحزن بمشاعر الشوق ولعل من أبرز انعكاسات هذه الظاهرة على الشعر الجاهلي ابتداء الشعراء قصائدهم بالوقوف على الأطلال والبكاء على الديار والاستطراد الى وصفها وجعلوا ذلك شبه قاعدة فنية نادرا ما يخرجون عنها ومن مقدمات الوقوف على الأطلال قول زهير بن أبي سلمى

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم بحومانة الدراج فالمنتلم

بها العين والأرام يمشين خلفه وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم

وأختم بالقول : إن ظاهرة الوقوف على الأطلال كانت من روائع المقدمات الشعرية أضافت رونقا خاصا على الشعر الجاهلي فأصبح يتميز برهافة الحس والجمالية في القصائد ويتفق معظم النقاد على أن ظاهرة الوقوف على الأطلال من أجمل ما قام به شعراء العصر الجاهلي ومصدر لجمال قصائدهم

بقلم: فيليب حداد

منشور في قسم: مقالات

طباعة المقال طباعة المقال